الفصل الثاني

الإيفانجليكية من عام ١٩٣٠م

«الوحدة والتنوع»

obeikandl.com

obeikandl.com

إذا كان للإيڤانجليكية الجديدة - التى برزت فى نهاية الأمر بوصفها وريثة للتحالف الأصولى الحقيقى فى عشرينيات القرن العشرين - أن تجد أية فرصة على الإطلاق لإنجاز بعض العمل الوحدوى الحقيقى، لكان عليها التمحور حول «بيلى جراهام» - فى ريعان شبابه.

لاحظ «كارل ف. هـ. هنرى» - والذى كان يومًا مساعدًا لـ «جراهام» عندما رجع بذاكرته فى عام ١٩٨٠م «خلال الستينيات، حلقت برومانسية فى احتمال بزوغ تحالف إيڤانجليكى هائل داخل الولايات المتحدة، من أجل التنسيق الفعّال لإحداث تأثير وطنى بالغ فى الإيڤانجليكية، والتعليم، والنشر والعمل السياسى الاجتماعى». تخاصم «بيلى جراهام» بصرامة مع الأصوليين الانفصاليين، وشق طرقًا داخلية فى قلب الطوائف الرئيسية، وكان ذا شعبية طاغية، ووقف وحده تقريبًا بوصفه زعيمًا إيڤانجليكيًا مرموقًا. وكان «هنرى» وبعض عصبته من المفكرين، والذين غالبًا ما عرفوا فى ذلك الوقت باسم «الإيڤانجليكيين الجدد»، قد وفروا للحركة بعض الزعامات الأيديولوچية. وقد عدلت مجلة «المسيحية اليوم» من شكلها تحت رئاسة «هنرى» لمماثلة مجلة «القرن المسيحى» لكن توزيعها كان أعلى. وقد تحدث «الإيڤانجليكيون الجدد» ومعهم «جراهام» بجدية عن إقامة جامعة إيڤانجليكية فى منطقة مدينة نيويورك. وكانت الحركة تتقدم على عدد من الجبهات، واعتقد «هنرى» بأنه يمكن للمجموعة المركزية من الإصلاحيين الإيڤانجليكيين للأصولية، أن يعبئوا بنجاح جبهة إيڤانجليكية متماسكة وموحدة، تعيد ذكرى وصول الإيڤانجليكية الأمريكية للذروة فى القرن التاسع عشر.

وفى أوائل السبعينيات، يتذكر هنرى «احتمال تحالف هائل إيڤانچليكى كان يبدو بعيد المنال فى كل عام»[1]. وكانت الإيڤانجليكية تناضل أكثر من أى وقت مضى بهدف إعادة الدخول فى الضمير القومى. **لذلك وبحلول عام ١٩٧٦م الذى أعلنته صحيفة «النيوزويك» «عام الإيڤانجليكى» كانت آمال الإيڤانجليكيين الجدد بخصوص الوحدة تحت زعاماتهم قد تبددت. ولم يتسبب انتخاب معمدانى جنوبى ديمقراطى ودخوله إلى البيت الأبيض فى دفع قضيتهم الحزبية إلى الأمام**. إضافة إلى ذلك، فقد جلب عام ١٩٧٦م لهم مزيداً من النزاع الداخلى المكشوف الذى تركز على «المعركة من أجل الكتاب المقدس». وفى حين حصل الإيڤانجليكيون على بعض من الوجاهة الوطنية التى طالما راودت أحلامهم، فلم يعد فى وسع الزعماء الإيڤانجليكيين الجدد بعد الآن الاتفاق فيما بينهم على: من هو الإيڤانجليكى؟

عودة ظهور الإيڤانجليكية بوصفها قوة فى الثقافة الأمريكية هو بالتأكيد واحد من أشد التطورات بروزاً داخل الدين الأمريكى منذ عام ١٩٣٠م. وهو على الأرجح الأمر الذى لم يمكن التنبؤ به فى عام ١٩٣٠م، حين بدت الأصولية وكأنها قد لاقت هزيمتها فى تلك الطوائف الشمالية الرئيسية التى قد أثارت داخلها تحديات جادة خلال العشرينيات من القرن العشرين، وكانت السيطرة فيها للتقدميين. ووفقًا للنظريات الاجتماعية السائدة ذلك الوقت، فقد كان كل ما تبقى عمله هو عمليات تجفيف. **سوف يحتضر الدين المحافظ مع تقدم الحداثة. الجنوب المتخلف سوف يصبح أكثر شبهًا بالشمال الصناعى. ولكن للأصوليين رؤيتهم الخاصة فى هذه النظرية، متوقعين التقدم الحثيث للعلمانية داخل الكنائس والثقافة إلى حين عودة المسيح. ظن القليلون فقط أن الجنوب سوف يصعد مرة أخرى لضبط النغمة الدينية الثقافية لمعظم الأمة[2]. القليلون فقط ظنوا أنه بعد خمسين عامًا، سوف تعانى الطوائف التقدمية من حالة من الانهيار المستمر، فى حين سوف تزدهر المجموعات الإيڤانجليكية والمحافظة.**

---

(١) «كارل ف. هـ. هنرى»، «الإيڤانجليكيون الأمريكيون فى زمن التحول» القرن المسيحى (سلسلة «كيف تبدل عقلى») ٥ نوفمبر ١٩٨٠م ص ١٠٦٠.

(٢) هذا المظهر المهم للتطورات الإيڤانجليكية الحالية قد جرى بحثه من قبل «جرانت واكر»: «عدم ارتياح فى جبل صهيون: الإيڤانجليكيون فى مجتمع ما بعد الحداثة» فى «چورچ مارسدن» «الإيڤانجليكية وأمريكا المعاصرة» (Grand Rapids: Eerdmans1984). ص ١٧ ـ ٢٨.

كان إصلاحيو الأصولية من الإيفانجليكيين الجدد من ضمن الأوائل الذين توقعوا عودة للصعود الإيفانجليكى. وكانوا يتحدثون بالفعل فى أربعينيات القرن العشرين عن هذه العودة، وكذلك حتى على «إعادة النص على الرسالة الأصولية وعلى مبادئ ثقافة غربية»[١]، وكذلك مثلما أوضح «كارل هنرى» «إعادة صناعة العقل الحديث»[٢]. كانوا على اقتناع بأنه إذا شاب صوت الأصولية بعض الاعتدال، فإنه يمكن للمسيحية الإيفانجليكية «أن تربح أمريكا»[٣]. لقد رأوا أنفسهم بوصفهم واقفين داخل تراث «دوايت موودى» و«تشارلز فينى»، و«چوناثان إدواردز»، و«چورچ وايتفيلد» ممثلين للمركز الدائم للتراث الإيفانجليكى الأمريكى المتجاوز للطائفية. وقد ظنوا أنه إذا عاد التنظيم بشكل أو بآخر لإيفانجليكية أمريكية، فإنها ستظل قوة لا تقهر داخل ثقافة أمريكية وتشكل تحديًا للتوجهات العلمانية السائدة فى الغرب.

كان النجاح الذى حصلت عليه الحركة فى السبعينيات من القرن العشرين يمثل جزءاً فقط مما تخيله الزعماء، وقد انفلتت الحركة بعيداً عن سيطرتهم، ونمت كنتيجة لقوى لم تكن فى حسبان الخطط الخاصة بهم على الإطلاق. ومن العسير تقدير المدى الذى شكلت به خططهم الحركة. ومن المهم عدم إغفال بعض الأشخاص البارزين المتحدثين بلسان الحركة. مع ذلك، فعن طريق التركيز أولاً على أصحاب الرؤى هؤلاء وكذلك المنظمين، فسوف نعثر على نافذة يمكن النظر من خلالها إلى الحركة بشكلها الأوسع، على المستوى الذى طابقت فيه الحركة رؤاهم، والذى فيه لم تتطابق.

بالأخذ فى الاعتبار التنوع الهائل للإيفانجليكية الأمريكية، فقد يبدو من العجيب أن أية جماعة بمفردها قد تفترض أن بإمكانها توفير الزعامة التى تؤدى للوحدة. وقد جادل «تيموثى ل. سميث» مع بعض القدرة على الإقناع، بأن الإيفانجليكية تتشابه

(١) «هارولد. چيه. أوكينجا» «التحدى المطروح على الثقافة المسيحية للغرب» خطاب المجمع الكنسى الافتتاحى، معهد فوللر اللاهوتى، پاسادينا، كاليفورنيا ـ أكتوبر ١٩٤٧م. كتيب.

(٢) «كارل ف. هـ. هنرى» «إعادة صناعة العقل الحديث» (Grand Rapids: Eerdmans 1946).

(٣) «هارولد. چيه. أوكينجا» «هل فى مقدور المسيحيين أن يربحوا أمريكا؟». الحياة المسيحية والتايمز، يونيو ١٩٤٧ ص ١٣ - ١٥.

مع المشكال (عاكس ما لا نهاية له من الأشكال). إنها تتركب من قطع وشظايا ذات تنوع مثل الخمسينين السود، وكنائس السلام المينونيتية، والأسقفيين الكارزميين، والناصريين (من الناصرة)، والمعمدانيين الجنوبيين، إنها تشكل تجمعًا بحيث لا ينبغي لأية جماعة منفردة أن تحتكر حق الحديث عنها[1]. ومن هذا المنظور، يمكن للمرء اعتبار الإيڤانجليكية على أنها وحدة، ولكن فقط بمفهوم فى غاية الاتساع. فقد يتوافق الإيڤانجليكيون بشكل عام على الأمور الجوهرية للإيڤانجليكية: «الكتاب المقدس هو المرجع الأوحد فى الدين، وإنَّ الوسيلة الوحيدة للخلاص هى ممارسة تحول الحياة بواسطة الروح القدس من خلال الإيمان بعيسى المسيح»[2]. فيما عدا ذلك فهم يمثلون تراثًا واسع الاستقلال، حتى مع تعلقه ببعضه البعض[3].

وعلى الرغم من صحة هذه الملاحظات، والتى تسمح بإجازة أى حديث بخصوص «إيڤانجليكية» مفردة، فقد حصلت الإيڤانجليكية الأمريكية فى القرن العشرين على وحدة أكبر مما قد أوحى بها التنوع الطائفى الخاص بها. لم تنمُ هذه الدرجة من الوحدة من الأعمال المشتركة فقط، ولكن نمت أيضًا من الإرث والتجربة المشتركين. وحتى معظم البروتستانت السود والذين دائمًا ما كانوا منفصلين بالكلية على وجه التقريب عن البيض منذ الحرب الأهلية، كانوا يملكون ما يكفى من الإرث المشترك بحيث تتحدد هويتهم بالفعل بوصفهم «إيڤانجليكيين» رغم استخدامهم النادر لهذه الكلمة. أما بالنسبة للبروتستانت من البيض الذين تتعلق هذه الدراسة بهم بشكل رئيسى، فإن التجارب المشتركة لمعظمهم من خلال ردود أفعال الأصوليين ضد التجديدات اللاهوتية «الحداثية»، وضد بعض التغيرات الثقافية، قد أعادت تقوية روابط إرثهم المشترك خلال النصف الأول من القرن العشرين.

لم تكن «الإيڤانجليكية» تعبيرًا كثير الاستخدام فى الحياة الدينية الأمريكية فى ثلاثينيات القرن العشرين. كان عالم البروتستانت البيض ما زال محكومًا بواسطة

---

(١) «تيموثى ل. سميث» «المشكال الإيڤانجليكى: الدعوة إلى الوحدة المسيحية» دورية العالم المسيحى ١٥/ ٢ (١٩٨٦) ص ٤٠ ـ ١٢٥.

(٢) جرانت واكر («أ. هـ. سترونج» متاهة الوعى التاريخى) (ماكون چى إيه، مطابع جامعة ميرسير ١٩٨٥م) ص١٧ ـ ليس هذا بالتعريف الشامل، ولكنه صيغ بعناية وبشكل مناسب.

(٣) ناقش چورچ مارسدن الأسئلة المتعلقة بالمفهوم والخاصة بارتباط المجموع بالأجزاء فى الإيڤانجليكية فى «الطائفة الإيڤانجليكية» فى مارسدن «الإيڤانجليكية وأمريكا الحديثة» ص xix - vii.

طوائف التيار الرئيسى، وتلك كانت منقسمة بواسطة الحروب بين «الأصوليين» والمتعاطفين معهم، وبين «الحداثيين» والمتعاطفين معهم، وقد ادعى كل جانب منذ البداية لنفسه مسمى «إيڤانجليكى» مما أدى إلى أن الاسم لم يعد يطلق بعدها على أيٍّ من الجانبين.

القول الفصل، إن معظم البروتستانت الأمريكيين سواء أكانوا من سلك الكهنوت أو من رواد الكنائس لم يكونوا من الأصوليين ولا من الحداثيين، لكن موقعهم كان فى مكان ما بين الطرفين، مع ذلك، فقد أجبرت حروب الأصوليين/ الحداثيين العديد من هؤلاء المعتدلين على اختيار أحد الجانبين. ففى الشمال، فضل معظم الكهنة تسامح الحداثة، فى حين لم يرغب معظم مرتادى الكنائس فى حدوث عراك. أما فى الجنوب فقد كان معظم المجموعتين على استعداد للتمسك بخط الأصوليين.

كانت الكنائس البيضاء الشمالية بحلول ثلاثينيات القرن العشرين تمر بمرحلة إعادة اصطفاف[1]، حيث أعاد الأصوليون تحديد مواقعهم وبناء شبكات مؤسساتهم المنفصلة والخاصة بهم. وغادر ما لا يحصى من الأصوليين طوائفهم الرئيسية، لكى ينضموا أو ليؤسسوا كنائس محلية مستقلة للكتاب المقدس، أو ليهجروا طائفة أكثر ليبرالية من أجل أخرى أصغر وأكثر محافظة. مع ذلك، فقد ظل معظم الأصوليين على سكونهم داخل الطوائف الرئيسية، آملين فى العمل من خلال الهياكل الموجودة وبخاصة من خلال الكنائس المحلية المحافظة. وقد تزايد فى الوقت نفسه دعمهم الموجه إلى شبكة نامية من الوكالات الإيڤانجليكية الأصولية العابرة للطائفية[2].

جمعت الأصولية دافعين متناقضين، دائمًا ما لاقى مناصروها صعوبة فى التوفيق بينهما. كان ما ميز الأصولية بشكل رئيسى عن الإيڤانجليكية المبكرة هو توجهها القتالى ضد علم اللاهوت الحداثى وضد التغير الثقافى. سيطرت بلاغيات الحرب على تفكيرها، وغالبًا ما تردد «لا تنازل» فى المناظرات الطائفية. مع ذلك،

(١) العرض الكلاسيكى لحالة كنائس الخط الرئيسى خلال هذه الفترة هو عمل «روبرت ت. هاندى» «الانكماش الدينى الأمريكى ١٩٢٥-١٩٣٥» تاريخ الكنيسة ٢٩ (١٩٦٠)، ص ٢-١٦.

(٢) «جويل إيه. كارپنتر» «مؤسسات الأصوليين وصعود البروتستانتية الإيڤانجليكية» ١٩٢٩-١٩٤٢م تاريخ الكنيسة ٤٩/ ١ (مارس ١٩٨٠)، ص ٦٢-٧٥.

فقد أصبح من الواضح عقب عام ١٩٢٥م أنه ليس فى قدرة الأصوليين السيطرة على الطوائف الشمالية الرئيسية[١]، حيث أشار المنطق الخاص بموقفهم اللاتنازلى إلى اتجاه الانفصال. وقد دعم من هذا الميل الانفصالى تفسيرات التاريخ الخاصة بما قبل الألفية «التدبيرية» والتى انتشرت بشكل واسع بين الأصوليين.

قامت «التدبيرية» بتدريس ارتداد الكنائس الرئيسية فى «العالم المسيحى» والتى هى جزء من التدهور الثقافى المنتظم خلال «العصر الكنسى الحالى». وبحلول الثلاثينيات من القرن العشرين، تزايدت مطالب الأصوليين المتشددين بواجب الانفصال اللاهوتى. مع ذلك، فقد ضمت الأصولية بين جنباتها دافعًا إيجابيًا غالبًا ما عمل على أهداف متعارضة مع هذه السلبية. . كان تراث إعادة الإحياء الإيفانجليكى الذى سبق زمنيًا الأصولية المعادية للحداثة، هو التراث الذى نمت من خلاله الأصولية. كان الشغل الشاغل الذى يحمله هذا التراث هو خلاص النفوس، وكان أىٌّ من الوسائل المقبولة التى توصل إلى تلك النهاية، هى وسيلة مجازة. ومع تطور الإحيائية الأمريكية، فإنها قامت بذلك بتعاطف مختلط المشاعر بشكل أساسى مع الطوائف الرئيسية، وبالتأكيد تقوم جاذبية الدفاع الإحيائى فى جزء منها على أساس من عدم الرضا على ما كانت الطوائف تقوم بفعله. وقد أسس بعضٌ من الإحيائيين مثل «ألكسندر كامبل» طوائفهم الخاصة بهم، لكن أكثرهم نجاحًا مثل «تشارلز فينى» و«دوايت موودى» قد عمل جنبًا إلى جنب مع الطوائف المحترمة، وغالبًا ما أقام هذان منظماتهما الإيفانجليكية الخاصة بهما لاستكمال الجهود الطائفية. وشجعت الطوائف الإيفانجليكية من جانبها الإحيائية وعملت على ترويجها من خلال الوكالات الطائفية وكذلك خارج الطائفية.

وازن من اندفاعية الأصولية السلبية فى ثلاثينيات القرن العشرين للهجرة من الطوائف الرئيسية، ما سبقها من قائمة أعمال مستمرة تهدف إلى الفوز بأمريكا والعالم من أجل المسيح. وبدا أن هذه القائمة تتطلب مؤمنين «بالأصول»؛ ليتشبثوا بمواقفهم الجذرية غير القابلة للتغيير داخل الطوائف المحترمة؛ إذ كيف يكون فى إمكانهم الحصول على آذان صاغية من أجل كسب الأمة، إذا تخلوا عن كل الروابط

(١) نوقشت التطورات الأصولية خلال الفترة المبكرة فى الفصل (١)، ولمزيد من التفاصيل فى «جورج مارسدن» «الأصولية والثقافة الأمريكية ـ تشكيل إيفانجليكية القرن العشرين ١٨٧٠-١٩٢٥م» (نيويورك - مطابع جامعة أكسفورد ١٩٨٠م).

التى تربطهم بهذه الطوائف؟ لذلك فقد نحى معظم الأصوليين جانبًا ـ بحلول ثلاثينيات القرن العشرين ـ الاشتغال ببرامج سياسية، لصالح التركيز على كسب النفوس، وداوموا ـ على النقيض من التشاؤم الثقافى النابع من تعاليم التدبيرية- على الأقل على الاستمتاع بالرغبات والطموحات الدائمة فى نفوذ اجتماعى وروحى وأخلاقى، يماثل ما تمتع به الإيڤانجليكيون فى جيل سابق واحد فقط. وقد توافق الإبقاء على بعض الروابط مع الطوائف الرئيسية مع هذه الاستراتيچية الإيجابية.

ارتبطت هذه الاستراتيچية الإيجابية بانفصال نصفى لمعظم الأصوليين من طوائف التيار الرئيسى، وبينما كان بعض الأصوليين يبنون مؤسسات منفصلة تمامًا، كان الأكثر يبنون مؤسسات منفصلة على المستوى الواقعى، لكنها على المستوى النظرى لا ترفض القبول بالتيار الرئيسى. ولم تكن الخطوط الفاصلة بين هذين النوعين من الانفصاليين دائمة الوضوح خلال ثلاثينيات القرن العشرين. فقد أصر بعض الانفصاليين من الرواد على رفض القبول بطوائف الخط القديم. فى حين أن آخرين على مستوى مماثل من الريادة ظلوا على وجودهم بداخلها. كان الموقف مائعًا إلى الحد الذى لم يجعل من الانفصالية مقياسًا للإيمان، بعد، بالنسبة لمعظم المجموعات داخل التحالف العابر للطائفية.

استمرت الأصولية فى حركتها داخل هذا المناخ من عدم الاستقرار اللاهوتى، ببناء شبكتها الأكبر من الوكالات الإيڤانجليكية. وقد وفر الراديو على وجه الخصوص وسيلة فعّالة لبناء الكنائس التى تجاهلت الاعتبارات الطائفية بما يتوافق مع الموقف القديم لممارسات الإحيائيين.

وبحلول بواكير الأربعينيات من القرن العشرين استحوذ «تشارلز إيه. فولر» صاحب برنامج «ساعة من الإحيائية القديمة» على أكبر عدد من مستمعى الراديو فى البلاد. كان «فولر» فى عشرينيات القرن نموذجًا للأصولى المقاتل، وانفصل عن كنيسة مشيخية محلية ليشكل مجموعته الخاصة به؛ لكنه عندما أصبح شخصية قومية، تبنى موقفًا أصوليًا إيجابيًا يرفض الانخراط فى الخلافات الحادة أو من أجل جعل الانفصالية مقياسًا للإيمان الحق[1].

(١) «دانييل پ. فولر» «أعط الرياح صوتًا عظيمًا: قصة تشارلز إيه. فولر» (واكو تكساس Word Books 1972).

مع بواكير الأربعينيات من القرن العشرين، رأى الأصوليون الذين يعملون من خلال المنظمات حديثة التشكيل علامات على الإحياء على عدد من الجبهات. كانت أكثر المنظمات الجديدة تحقيقًا للنجاح هى «شباب من أجل المسيح». وفى خلال الحرب العالمية الثانية، رعى الشباب الإيڤانجليكيون مثل «جاك ويرتزن»، و«پيرسى كراوفورد» تجمعات جماهيرية غاية فى النجاح فى المدن الأمريكية، كان أبرزها فى نيويورك وشيكاجو. وتأسست «شباب من أجل المسيح الدولية» عام ١٩٤٥م من أجل تقوية وتأمين الإحياء. وقد رعت منظمة «شباب من أجل المسيح» خلال عامها الأول ما يقارب ٩٠٠ اجتماع على اتساع الوطن، شارك فيها ما يقارب مليون مشارك[١]. وقد اختارت المنظمة الجديدة شابًا حديث التخرج من كلية «ويتون»، اسمه «بيلى جراهام»؛ ليصبح أول إيڤانجليكى متفرغ. ومع نهاية العقد، كان «جراهام» ارتفع بالحركة الإحيائية إلى آفاق النجاح الدولى الهائل.

استند «جراهام» إلى شبكة من الأصوليين الإيجابيين الذين كانوا ينظمون لهذا الإحياء خلال أربعينيات القرن. وكان التجلى المؤسسى شديد الوضوح لهذه الشبكة هو «الهيئة القومية للإيڤانجليكيين» التى تأسست عام ١٩٤٢م بوصفها فرعًا حرًا يمثل تنوعًا من الطوائف والأفراد الإيڤانجليكيين، بغرض رئيسى هو ترويج الإيڤانجليكية. مثلت هذه الهيئة النمو القومى «لرابطة نيو إنجلاند» المبكرة التى كان يرأسها «چيه. أيلوين رايت»، وأصبح «هارولد چون أوكينجا» وهو تلميذ سابق لـ«چيه. جريشهام ماكين» وراعى الكنيسة الأبرشية فى پارك ستريت فى بوسطن، المنظم الرئيسى «للهيئة القومية للإيڤانجليكيين» كما ترأس أيضًا عددًا من الوكالات المهمة الأخرى التى تأسست خلال العقدين التاليين. كانت هناك مجموعة فى مركز هذه المنظمات من المعمدانيين والمشيخيين، وكان لمعظمهم روابط مع مؤسسات مثل «كلية ويتون» و«معهد مودى للكتاب المقدس»، «والمعهد اللاهوتى فى دالاس»، و«كلية ومعهد جوردون» فى بوسطن، وكذلك مع أتباع «ماكين» الذين لم يكونوا من الانفصاليين المتشددين.

---

(١) «جويل إيه. كارپنتر» «من الأصولية إلى التحالف الإيڤانجليكى الجديد» فى مارسدن، محرر «الإيڤانجليكية وأمريكا الحديثة» ص١٥.

أنشأت هذه المجموعة دائرة واسعة، دلت عليها الهيئة القومية للإيڤانجليكيين، والتى ضمت بحلول عام ١٩٤٧م ثلاثين طائفة صغيرة مثلوا ١,٣٠٠,٠٠٠ عضو. وقد مثلت زعامة الهيئة القومية للإيڤانجليكيين التيار الرئيسى فى الأصولية بشكل أو بآخر، وظل الكثيرون من قياداتها على ارتباطهم بالطوائف الرئيسية، وقد عملوا انطلاقًا من هذه القاعدة الأصولية العريضة، كما استقطبوا بعض المجموعات الإيڤانجليكية التى كانت على تخوم حركة الأصولية المبكرة. وقد وجدت بعض المجموعات ذات المنابع العرقية مثل المعمدانيين السويديين، والكنيسة الإيڤانجليكية الحرة، فى الحركة القومية شكلاً محببًا من أشكال الأمركة، كما وجدت مجموعات القداسة، مثل الناصريين والميثوديين الويزليين إعادة لتشكيل إصرارهم على التميز على يد هذه الحركة المرتبطة بالأصولية، كما تلقت الدعوة حتى بعض الطوائف الخمسينية - وهى التى كانت منبوذة بين الأصوليين السلبيين الأوائل - لتنضم إلى عضوية الحركة الإيجابية. أرسل مؤتمر المعمدانيين الجنوبى والذى كان قادرًا على زيادة عضوية الهيئة القومية الإيڤانجليكيين إلى حد التخمة، بعض الممثلين إلى بعض الاجتماعات الأولية للحركة. لكنه كان ذا هوية غاية فى التميز تستعصى على الانضواء تحت قيادة الحركة. وقد انضمت كنيسة الإصلاح المسيحى الأصغر، ثم انسحبت من الهيئة القومية للإيڤانجليكيين، لكن كان بعض قادتها من المساهمين على الدوام، و ذوى الأهمية فى الحركة. وعلى سبيل المثال، أصبح «ويليام ب. إيردمان» هو النصير الأكثر احترامًا للحركة. وعلى النقيض، ظل «لوثريو معبد ميسورى» على تعاليهم على مثل هذه الأشكال من الأمركة[١].

رغم ذلك كان مؤيدو هذه الحركة الصاعدة، أكبر بشكل ملموس من أعداد الأشخاص الممكن حصرهم داخل منظماتها. العدد الهائل من المستمعين إلى «تشارلز إى. فولر» وبعدها إلى «بيلى جراهام»، كانوا من الداعمين لبعض الوقت

(١) المصدر السابق ص١٣-١٤، انظر أيضا «چوكارپنتر» «الحيوية الأصولية وصعود الجبهة الإيڤانجليكية المتحدة» فى «ليونارد سويت»، محرر، «التراث الإيڤانجليكى فى أمريكا» (ماكون چى إيه، مطابع جامعة ميرسر ١٩٨٤م) ص ٨٨ ـ ٢٥٧، من أجل نقاش مهم لهذه العلاقات المتداخلة.

على أقل تقدير لهذه الشبكة، كما كانت رسالتها هى التى تشكلهم. بالمثل حافظت محطات الراديو المحلية، مثل (WMBI) المنطلقة من معهد «مودى للكتاب المقدس» فى شيكاجو على الناس فى عديد من الطوائف داخل مدار الأصولية الإيجابية. كان معظم هؤلاء الناس ينتمون ـ بغير شك ـ إلى الطوائف الرئيسية، وعلى سبيل المثال، اكتسبت الحركة لمدة طويلة على طول الساحل الغربى دعم الجماعات المشيخية المحافظة ذات الدور المحورى والأعداد الكبيرة.

وعلى الرغم من أن جميع المحافظين كانوا ينشدون الإحياء القومى، فقد تزايد قلق المقاتلين المتشددين تجاه التحالفات التى تكونت خلال طفرة الأربعينيات. كان الناطق الأكثر بروزًا باسم وجهة النظر الأشد انفصالية هو «كارل ماكنتير» وهو تلميذ سابق آخر «لماكين»، ومنظم لا يعرف الكلل للحركات المعارضة. وقد أسس «ماكنتير» «المجلس الأمريكى للكنائس المسيحية» على أسس أصولية خالصة فى عام ١٩٤١م، حيث كان من الواضح توقعه لتأسيس الهيئة القومية للإيڤانجليكيين وأنه لا مجال لضم الخمسينيين، ولا الطوائف على وجه الخصوص (أو لأعضائها) المنتسبين إلى المجلس الفيدرالى للكنائس. وقد أدى تشدد «ماكنتير» إلى بقاء منظماته ذات عدد قليل، لكن حملاته الترويجية القوية من خلال تطبيقاتها ومن خلال الراديو، إضافة إلى هجماته المثيرة على الليبراليين ووكالاتهم، وربطها بالشيوعية، هيأت له نفوذًا أكبر من حجمه. مع ذلك، ففى خلال أربعينيات القرن لم يكن واضحًا أمام ورثة الأصولية أن هناك فى طور التكوين انفصالاً حول الأهمية النسبية للعناصر السلبية والإيجابية لإرثهم المشترك، وكان لكلٍّ من الجانبين نصيب من كل من المجموعتين. وعلى سبيل المثال، فقد بذلت الجهود لإدماج المجلس الأمريكى مع الهيئة القومية للإيڤانجليكيين، وانضم عدد من الناس لكليهما[1].

رغم ذلك، لم تكن القضايا الصاعدة هى مجرد السلبية ضد الإيجابية، أو الانفصالى ضد التجميعى. كانت هناك مسائل أيديولوچية تحظى بنفس الأهمية، وعلى رأسها المتعلقة بدور تدبيرية ما قبل الألفية، داخل الحركة. كانت عقيدة ما

(١) لمزيد من المناقشة لهذه التطورات انظر «چورچ مارسدن» «إصلاح الأصولية: معهد فولر والإيڤانجليكية الجديدة» (جراند راپيدز - أيردمان ١٩٨٧م).

قبل الألفية تدرس خلال ثلاثينيات القرن داخل الأغلبية الساحقة من الكنائس الأصولية (وكذلك الخمسينية)، وشجعت وجهة النظر التدبيرية المتشائمة فيما يتعلق بالثقافة السائدة، على الإقلال من التأكيد على المسببات الاجتماعية داخل الحركة. عمل التقدير السلبى الذى حملته «التدبيرية» تجاه الكنائس الرئيسية على تشجيع الانفصالية[1].

وكجزء من منظومة إحياء أمريكا والعالم، بعد الحرب العالمية الثانية، بدأت مجموعة من المفكرين الأصوليين الإيجابيين فى تنظيم حركة للابتعاد عن تشديدات التدبيرية، ومثّل هذا التحرك جزءًا من جهد الإحيائيين الأمريكيين والعالميين عقب الحرب العالمية الثانية، ومع انغماس الولايات المتحدة فى تزعم العالم عقب الحرب، فقد رأوا فى ذلك فرصة لا تتكرر لإعادة تشكيل الحضارة المسيحية، وذلك إذا أمكن إعادة إحياء التراث الإيفانجليكى الأمريكى، ومن أجل بلوغ هذا الهدف الطموح، فقد عرفوا أنه سيكون من الضرورى البناء على قاعدة من الادّعاء الأصولى بالوقوف تحت مظلة التراث العريض للأرثوذكسية الأوجستينية، بدلاً من ترويج تعاليم «التدبيرية» حديثة الابتكار والأكثر ضيقًا، كما استهجنوا أيضًا التشديد الأصولى على المحظورات الأخلاقية الشخصية على حساب البرامج الاجتماعية الإيجابية، وهو الموضوع الذى صرح به «كارل هنرى» فى عمله «الضمير غير المستريح للأصولية الحديثة» عام ١٩٤٧م، كما زاد من خجلهم مجافاة العقلانية التى أصبحت مرتبطة بالأصولية التدبيرية، والتى روج لها ـ بصفة أساسية ـ مؤسسات الكتاب المقدس، والدعوة البسيطة إلى المنفعة.

كان تأسيس معهد فولر للإلهيات فى پاسادينا كاليفورينا فى عام ١٩٤٧م، هو الجهد الأشد بروزًا فى مجال الرد على هذه التوجهات. قام «تشارلز إى. فولر» بتوفير التمويل المبدئى، لكنه ترك معظم الجهد الإدارى للمعهد فى يد المفكرين الذين رأسهم «هارولد أوكينجا»، وضم إليهم فى العضوية الأولى مجموعة تثير الإعجاب: «كارل هنرى»، و«إدوارد چيه. كارنيل»، و«ويلبور إم. سميث»،

(١) نوقشت التبعات الثقافية لتعاليم المرحلية فى مارسدن «الأصولية والثقافة الأمريكية».

و«ايفيريت هارسون»، و«جلاسون ارشر»، و«هارولد ليندسل»، و«چورچ إى. لاد»، و«دانييل فولر»، و«پول كيه. چيويت». وبذلك قللت مجموعة «فولر» من التشديد على التدبيرية، لكنهم لم يهجروا على الفور إرثهم الأصولى. لقد وهبوا أنفسهم بكل إخلاص لمثال «تشارلز فولر» الخاص بالإيڤانجليكية الإيجابية، وكانوا على ارتباط وثيق بـ «بيلى جراهام» الذى أصبح بالفعل «الوصى». ولقد أظهرت المدرسة احتراماتها المخلصة للعقيدة الأصولية المقاتلة بنفس القدر، عن طريق طلبها التصديق الإيمانى بعصمة النص المقدس.

سارع نجاح «بيلى جراهام» فى خمسينيات القرن من تغيير حالة الإيڤانجليكية الإيجابية المسيطرة، والتى كانت تنمو خارجة من رحم الأصولية. أعطت الجاذبية الشعبية الهائلة لـ «جراهام» استقلالاً فعليّا، كما أعطاه انتخاب أيزنهاور ونيكسون عام ١٩٥٢م مدخلاً إلى البيت الأبيض. كما أضاف إلى موارده الدعم القادم من قيادات رجال الأعمال ذوى الاتجاه السياسى المحافظ؛ لذلك فقد حاول «جراهام» عدم إظهار صلاته السياسية[١].

كان تحرك «جراهام» تجاه مراكز الحياة الأمريكية ذات الاحترام هو الأكثر أهمية، مما أدى إلى شقاق أكيد مع الأصوليين المتشددين فى عام ١٩٥٧م. وقد وافق جراهام أن يضع حملته الصليبية فى مدينة نيويورك تحت رعاية «المجلس البروتستانتى المحلى للكنائس»، وقد تسبب ذلك التعاون فى إساءة بليغة اجتاحت الأصوليين المتشددين لأنه تعاون مع ليبراليين، وصبوا لعناتهم على جراهام[٢]. وخلال التبعات التى أعقبت الانشقاق الناتج داخل التحالف، أصبح مصطلح «الأصولية» يستخدم مقصوراً على وجه التقريب على هؤلاء الذين طالبوا بالانفصال اللاهوتى. وهم قد أطلقوا على حلفائهم السابقين مسمى «الإيڤانجليكية الجديدة» متهكمين على تعبير

---

(١) «ريتشار ب. پيرار» «د. بيلى جراهام والرئاسة الأمريكية» ـ جريدة الكنيسة والدولة ٢٢ (شتاء ١٩٨٠م) ص٢٧ ـ ١٠٧.

(٢) ناقش «باتلر فارلى پورتر» هذا الشقاق بمقدرة فى «بيلى جراهام ونهاية الوحدة الإيڤانجليكية» أطروحة دكتوراه، جامعة فلوريدا ١٩٧٦م.

«الإيڤانجليكية الجديدة» الذى صاغه «أوكينجا» قبل ذلك. كما أطلق آخرون داخل مجموعة الإصلاحيين على أنفسهم ببساطة مسمى «إيڤانجليكيين» وهو الاسم الذى أصبح فى آخر الأمر ذا استخدام شائع فيما يتعلق بهم، وكذلك فيما يتعلق بالحركة على اتساعها.

وبسبب معرفة أن الحركة الصاعدة تحتاج إلى بعض الهداية الفكرية، فقد رعى «جراهام» عملية إنشاء جريدة «المسيحية اليوم» تحت رئاسة تحرير «كارل هنرى» وكان «أوكينجا» هو رئيس مجلس الإدارة، أما «پيو» فكان هو الداعم المالى الرئيسى. وتكاملت معظم العناصر الضرورية من أجل ترويج رؤية حركة ليست قادرة على تحويل الأمة إلى الإيڤانجليكية فقط، ولكن قادرة أيضًا على إرساء القاعدة لبرنامج فكرى واجتماعى إيڤانجليكى موحد. وربما جاءت ذروة جهودهم الخاصة بتنظيم تحالف إيڤانجليكى ثقافى متسق فى عام ١٩٦٧م برعايتهم للمجلس العالمى للإيڤانجليكية، وكان عرضًا بارزًا للوحدة بين معظم الزعماء الإيڤانجليكيين المرموقين فى أمريكا وفى مختلف أرجاء العالم.

وقد شهد المجلس مظهرًا للتحالف الإيڤانجليكى الأمريكى الذى حظى بالأهمية منذ القرن التاسع عشر، ومثل جزءًا من حركة عابرة للأطلسى ذات روابط إرسالية.

مع ذلك وبحلول عام ١٩٦٧م، أصبح من المستحيل النظر إلى اعتبار الإيڤانجليكية الأمريكية بوصفها تحالفًا منفردًا ذا زعامة متوحدة ومعروفة، بشكل أو بآخر. يكمن وراء ذلك الأمر - بشكل جزئى - سبب سلبى نتج عن أزمة داخلية. كان قلب الحركة من قدامى الأصوليين، يعانى من التشرذم. وأصبحت قضايا الستينيات السياسية مصدرًا للخلافات الحادة، وخلال الأربعينيات والخمسينيات عندما نادى الناطقون بلسان الإيڤانجليكيين الجدد ببرنامج إيڤانجليكى اجتماعى فقد كانوا يفترضون أن يكون البرنامج نسخة ذات صبغة مسيحية من الجمهورية. وفى الستينيات أفرزت حركتهم ومعها عدد متنام من الأشخاص المرتبطين بها، جيلاً ثانيًا كان ينادى بمزيد من المواقف السياسية التقدمية، وقد استقطبت «ڤيتنام» كل الناس حول هذه القضايا، كما طالب زعيم المحافظين مثل «ج. هوارد پيو» بأن يتخذ

الإيفانجليكيون مواقف موالية للقومية وللرأسمالية بلا تحفظ. وقد فقد «كارل هنرى» وظيفته فى جريدة «المسيحية اليوم» رغم كونه من الجمهوريين الأقحاح، ويعود السبب فى ذلك فى جزء منه إلى عدم رغبته فى أن يكون من المقاتلين بما يكفى. وقد استبدل به «هارولد ليندسل» فى عام ١٩٦٨م، وكان قد وفر بالفعل نسخًا من بلاغيات «سپيرو أچنيو» وقد أضفى عليها صبغة مسيحية فى عهد نيكسون، وقد أشعل هذا الموقف السياسى المحافظ والمقاتل «للمؤسسة» الإيفانجليكية شرارة الفعل المعاكس على جانب اليسار. ففى عام ١٩٧١م، قام الطلبة المنشقون فى مدرسة لاهوت التثليث الإيفانجليكى (وهى مركز رائد «للمؤسسة الإيفانجليكية») بتنظيم «تحالف الشعب المسيحى» وحرروا جريدة سرية «ما بعد الأمريكية» التى أصبحت فيما بعد «ذوى الإقامة المؤقتة» وأصدرتها لجنة ذوى الإقامة المؤقتة من المتطرفين الإيفانجليكيين فى واشنطن دى. سى. وأصبح السناتور «مارك هاتفيلد» الداعم الأكثر شهرة لهذه الحركة. وخلال السبعينيات برز طيف من المواقف السياسية الإيفانجليكية، والتى قدمت بشكل جيد. وظهرت فى ذلك الوقت مجموعات إيفانجليكية تنادى بوضوح بالمساواة للمرأة، ومعارضة الحروب، وبصور تقدمية من العدالة الاجتماعية(١). كما دافع الحرس المحافظ القديم عن وجهات نظر معارضة.

لقد برزت إلى السطح قضية الانخراط الإيفانجليكى الاجتماعى - السياسى والتى نادى بها زعماء الإيفانجليكية الجديدة فى الأربعينيات والخمسينيات، ولكن بوصفها مصدرًا رئيسيًا للانقسام.

وقد برزت إلى السطح فى الوقت نفسه قضية ذات تواز وثيق، وهى قضية صحة الكتاب المقدس. وعلى الرغم من أن الإيفانجليكيين الجُدد قد حاولوا إصلاح الأصولية، فلم ترغب على الإطلاق جماعة مهمة داخل هذه المؤسسة فى الانفصال

---

(١) ناقش «ريتشارد كويبيدو» هذه التطورات فى «الإيفانجليكيون الشباب: الثورة فى الأرثوذكسية» (نيويورك هارپر أندرو ١٩٧٤م) و«الإيفانجليكيون العالميون» (سان فرانسيسكو، هارپر أندرو ١٩٨٠م) وكذلك ناقشها «روبرت بوث فاولر» «الرباط الجديد - الفكر السياسى الإيفانجليكى» ١٩٦٦-١٩٧٦م (جراند رابيدز - إيردمان ١٩٨٣).

عن الأصولية المقاتلة. كانت «صحة الكتاب المقدس» ذات أهمية حقيقية فى ذاتها، ولكنها مثلت أيضًا الرمز لمعان أخرى، وعادة ما حمل الإيڤانجليكيون التقدميون حساسية نسبية تجاه أهمية السياق التاريخى من أجل فهم المطالب المطلقة للإنجيل. وفتح هذا الموقف الباب أمام المزيد من التفسيرات التقدمية لتبعات الإنجيل الاجتماعية، كما ولد انفتاحًا على وجوه الانتقاد المتزايد غير الهدام، فعادة ما استلزمت «صحة النص المقدس» بالنسبة للإيڤانجليكيين التقدميين تفسيرًا تأويليًا جافًا يميل ببساطة إلى تفسير الكتاب المقدس بوصفه مجموعة حرفية من العروض، بدون أن يأخذ فى الحسبان ـ بشكل صحيح ـ معايير الكتاب المقدس الأصلية المتعلقة بالمعنى. رأى المحافظون القول بعدم دقة النصوص المقدسة لا يليق بقدرة الله وأنه سوف يؤدى إلى الانتقاص من سلطان الكتاب المقدس، وبدا أن المحافظين ليسوا على استعداد لإعطاء أقل تنازلات بصدد هذه القضية، مقابل الميول النسبية للفكر التقدمى الحديث[١].

وفى بواكير السبعينيات دخلت طائفتان إيڤانجليكيتان رئيسيتان هما: «المؤتمر المعمدانى الجنوبى» و«الكنيسة اللوثرية بمعبد ميسورى» فى أتون الخلافات المؤكدة حول «الصحة». وقد أعاد «هارولد لينسل» رئيس تحرير «المسيحية اليوم» إحياء «الصحة» بوصفها قضية رئيسية للإيڤانجليكية العابرة للطائفية، مقترحًا فى عمله «المعركة من أجل الكتاب المقدس» الذى تعرض للكثير من النقاش، أن كل من ينكر «الصحة» ليس بإيڤانجليكى على الإطلاق[٢].

وبذلك أصبحت الحركة العابرة للطائفية من أجل إصلاح الأصولية منفصلة بشكل لا يمكن علاجه بخصوص توليفة من القضايا السياسية والعقيدية، وكان الإيڤانجليكيون الجدد منقسمين على أنفسهم بشدة، إلى الحد الذى فقد فيه الاسم معناه. وفى أواخر السبعينيات لم يكن بوسع أحد حتى «بيلى جراهام» أن يدعى بأنه يقف فى المركز من تحالف يعانى كل هذا التفتت.

(١) قدم «مارك إيه. نول» بيانًا جزئيًا بالأعمال التى تناقش هذه القضية فى «الإيڤانجليكيون ودراسة الكتاب المقدس» فى مارسدن، محرر، «الإيڤانجليكية وأمريكا الحديثة» ص١٩٨-١٩٩.

(٢) «هارولد لينسل» «المعركة من أجل الكتاب المقدس» (جراند راپيدز - زوندرڤان ١٩٧٦م).

إضافة إلى هذه القوى السلبية التى تقسم الحركة، كان هناك بعض القوى الإيجابية تنتسب إلى النجاح الإيڤانجليكى. حيث إن الإيڤانجليكية قد عادت فى أواخر السبعينيات للبروز على سطح الأهمية فى الحياة العامة الأمريكية، فقد أفرزت الحركة دوائر أظهرت ذكاء يفوق الأصولية السابقة المفتتة، والتى وفرت يومًا نوعًا من المركز للحركة. كانت «الأغلبية الأخلاقية» واحدة منها، وقد قامت من بين أحد الأركان غير المتوقعة داخل الأصولية الانفصالية. كان «چيرى فالويل» فى الواقع إصلاحيًا للأصولية، وكان دوره موازيًا بشكل ما لدور «جراهام» وجماعته من الإيڤانجليكيين الجدد فى الخمسينيات. التسمية المناسبة التى تطلق على حركة «فالويل» هى «الأصولية الجديدة» فبينما يتمسك «فالويل» بالإرث الأصولى الخاص بالانفصال اللاهوتى (وبذلك يظل بعيداً عن «جراهام») لكنه حاول إعادة الأصوليين مرة أخرى إلى مراكز الحياة الأمريكية، وبخاصة من خلال الفعل السياسى. السياسة تعنى عقد التحالفات، وقد اتهم الأصوليون الأكثر تشدداً مثل «بوب چونز الثالث» فالويل، بوصفه أصوليًا زائفًا. مع ذلك، فقد برهن «فالويل» على أن أسلوب المقاتل الأصولى «ذلك ـ أو» يلائم المزاج السياسى لتلك المرحلة. وفى حين كانت «المؤسسة» الإيڤانجليكية عاجزة عن الحركة بسبب الانقسامات الداخلية، فقد أخذ فالويل برنامج جناحها اليمينى، وقام بتعبئة الكثير من الأمريكيين بحسم الأصوليين[1].

ولقد ركبت «الأغلبية الأخلاقية» الموجة الريجانية وصولاً للنجاح، وهى استراتيچية اتضحت من موافقتهم غير المشروطة على السياسات الداخلية والخارجية للرئيس الجديد. وقد تبنت إدارة ريجان بدورها بعضًا من بلاغيات اليمين الدينى، لكنها قدمت القليل الحقيقى (باستثناء ما هو بأحكام المحاكم) من أجل ترويج

(١) يشكل عمل «ريشار ڤى. پيرار» اليمين الجديد فى السياسات الأمريكية نقاشًا رفيعًا من الأدب الشامل عن اليمين المسيحى الأصولى، من مارسدن، محرر «الإيڤانجليكية وأمريكا الحديثة» ص ١٦١-١٧٤، كما تخضع خلافات «فالويل» مع الأصوليين الأكثر تشددًا إلى شرح جيد فى «چيرى فالويل مع دوبسون، وهيندسون» «الظاهرة الأصولية: انبعاث المسيحية المحافظة» (جاردن سيتى نيويورك، دوبلداى ١٩٨٠م).

الاهتمامات الرئيسية لليمين الدينى، مثل محاربة الإجهاض، وأداء الصلوات فى المدارس العامة.

وعلى الرغم من استحالة القياس، فربما كان التأثير السياسى الأعظم للإيڤانجليكية على السياسة الأمريكية خلال الخمسين عامًا الماضية، هو فى دورها الخاص بتوسيع القاعدة الشعبية الخاصة بالدعم شبه الكامل وغير القابل للتحول لدولة إسرائيل. لم تفعل الأغلبية الأخلاقية إلا الإعلان عن رؤية إيڤانجليكية يتمسك بها قطاع عريض للغاية بصدد هذه القضية. تركز تعاليم «التدبيرية» ذات الانتشار الواسع داخل الحركة منذ ثلاثينيات القرن العشرين، على التنبؤ بأن دولة إسرائيل سوف تلعب دورًا جوهريًا فى خطة الله الخاصة بالآخرة. حتى إن معظم هؤلاء الإيڤانجليكيين الجدد الذين هجروا تفاصيل «التدبيرية» لا يزالون يحملون إيمانًا لا يتزعزع بدور إسرائيل الذى قدّره الله لها، ويحظى هذا الاعتقاد بشعبية جارفة فى أمريكا، ومع ذلك فمن النادر أن يُذكر بما يتناسب مع تأثيره. على سبيل المثال، فخلال السبعينيات كان الكتاب الأكثر مبيعًا فى أمريكا (على الرغم من عدم وضعه فى قائمة «أفضل مبيعات» الخاصة بنيويورك تايمز على الإطلاق) هو كتاب «هال ليندسى» «كوكب الأرض العظيم الراحل»[1].

كانت أكبر مجموعة تتمسك بهذه الرؤى النبوئية، والتى تعتبر بالنسبة للكثيرين أكبر قوة إيڤانجليكية تطغى على حركة إصلاح الأصولية القديمة، هى الحركة الكارزماتية. بحلول عام ١٩٧٩م، حدد ١٩٪ من كل الأمريكيين أنفسهم على أنهم كارزماتيون أو خمسينيون[2]. بدا هذا التطور المذهل الذى طرأ على المشهد الدينى الأمريكى كما لو كان عصيًا على التنبؤ به فى عام ١٩٣٠م. كان أحد تجليات عودة المد فى الخمسينيات هو نمو الإحيائية الشفائية بين الإيڤانجليكيين الخمسينيين، وكانت إحدى نتائجها هى تكوين «الزمالة الدولية لرجال أعمال البشارة الكاملة» عام

(١) جراند راپيدز: زوندرڤان، ١٩٧٠. عمل ليندسى ووجهات النظر المتعلقة بالشرق الأوسط مشروحة فى عمل «تيموثى پى. وبير» «العيش فى ظل المجىء الثانى: (ما قبل الألفية) الأمريكية» (١٨٧٥-١٩٨٢م) نسخة موسعة (جراند راپيدز: زوندرڤان، ١٩٨٣م).

(٢) «ريشار كوبيدو» «الكارزماتية الجديدة II» (سان فرانسيسكو ـ هارپر آندرو ١٩٨٣م)، ص ٨٤.

١٩٥١م تحت زعامة «ديڤيد دى پليسى» أحد مؤسسى كنيسة الله، وصديقه رائد «الشفاء الإيمانى» «أورال روبرتس». وقد عمل «دى پليسى» بلا كلل وبنجاح خلال العقد التالى على حمل الرسالة الخمسينية إلى ما يتجاوز الطوائف الخمسينية التقليدية، وإلى ما يتجاوز المجموعات الأفقر اقتصاديًا التى ارتبطت بها هذه الرسالة بشكل كبير.

ومع حلول أوائل الستينيات، كانت حركات إعادة التجديد الكارزماتية قد بدأت داخل الطوائف الأسقفية والمشيخية واللوثرية، وطوائف الخط الرئيسى الأخرى، وسرعان ما وصلت إلى الكنيسة الكاثوليكية حيث وجدت لها أرضًا خصبة هناك أيضا، ومع قدوم عام ١٩٧٩م كان ١٨٪ من مجمل الأمريكيين الكاثوليك من الكارزماتيين[١].

تولد عن هذا التطور تحول رئيسى فى الإيڤانجليكية، وضع النهاية بشكل حاسم للعداوات التى كانت لا تزال مستعرة حتى عام ١٩٦٠م. (زاد التحالف السياسى للأغلبية الأخلاقية مع الكاثوليك الرومان حول «قضايا الأسرة» من تعزيز هذا التحول). لا يعزى انتشار الحركة الكارزماتية فى ربوع العالم المسيحى إلى الزعامة المركزية بشكل كبير، ولا إلى الشخصيات الرائدة، مثلما يعزى إلى اللامركزية. لقد نمت الحركة بمعدلات شبه هندسية داخل المجموعات الصغيرة والجماعات القوية، وبذلك أتت بإعادة التجديد، ونشرت الإنجيل داخل الوطن وخارجه[٢].

كما غيّرت الحركة الكارزمية سريعة الازدهار أيضًا من الشخصية الإيڤانجليكية فى مجملها بطرق مهمة. انتقل التأكيد إلى ناحية المظاهر التجريبية للمسيحية، بمفهوم يعنى الاقتراب من المسيح من خلال الروح الكامنة فى المسيحية، وأيضًا إلى ناحية مظاهرها العلاجية.

أصبحت السمعة الحسنة للمسيحية فى الفوائد التى تجلبها فى مجالات الصحة والنجاح والإنجاز الشخصى، واحدة من الموضوعات الأكثر شعبية للحركة[٣]

---

(١) المصدر السابق. (٢) المصدر السابق: فقرات مقتبسة.

(٣) «چيمس داڤيسون هنتر» وثّق هذه الموضوعات فى عمله «الإيڤانجليكية الأمريكية: الدين المحافظ ومأزق الحداثة» (نيوبرونزويك، نيوچيرسى، مطابع جامعة روتجرز، ١٩٨٣م).

كانت الرسائل التى تتضمن مثل هذه التأكيدات تظهر لأعين المشاهدين عن طريق الإيڤانجليكيين البارزين تليفزيونيًا، والذين ذاع صيتهم فى السبعينيات والثمانينيات. **من بين هؤلاء: ذوو الجماهيرية الأوسع الأكبر «أورال روبرتس»، و«چيمى سواجارت» و«چيم باكر» صاحب برنامج «نادى PTL»، و«پات روبرتسون» صاحب برنامج «نادى الـ ٧٠٠» وجميعهم من الكارزميين. وعلى سبيل المثال، كان «أورال روبرتس» بحلول عام ١٩٨٥م يعمل بميزانية تقترب من ٢ مليون دولار أسبوعيًا**[١]. **وفى مثل هذه الظروف، كان لطلبات السوق بعض التأثير على الرسالة موضوع الوعظ. ومع منتصف الثمانينيات أظهر «پات روبرتسون» نفسه بوصفه صاحب مهارة خاصة فى الجمع بين المسائل العلاجية للخمسينية الشفائية، مع الوطنية السياسية المرغوبة، والمحافظة، التى حازت مثل ذلك الدعم الواسع الذى كان «لچيرى فالويل»، والأغلبية الأخلاقية (غير الكاريزمية).**

كان على الإصلاحيين السابقين للأصولية النظر إلى هذه التطورات بمشاعر مختلطة، وهم الذين حاولوا بناء تحالف إيڤانجليكى حول «بيلى جراهام» فى الستينيات، وكانت الإيڤانجليكية تحظى بالنجاح بأساليب ملحوظة. مع ذلك، فقد بدأ ممثلوها الرئيسيون وكأنهم يتحركون بعيدًا عن المجموعة صاحبة الادعاء الجدير بالتصديق أنهم القلب للتراث الإيڤانجليكى العابر للطائفية، والذى يمكن تتبع آثاره بالعودة خلال الأصولية وصولاً إلى أيام «مووددى»، «وفينى»، «وإدواردز» و«وايتفيلد». والتقطت الأصولية السياسية فرعية واحدة طالما ما كانت حاضرة داخل هذا التراث، لكنها جرت بعيدًا إلى ما بدا أنه نهاية متطرفة من القومية التى تخدم ذاتها. وقد التقطت الإحيائية الكارزمية فرعية مهمة أخرى، وهى بالتحديد الاهتمام بالروحانية الفردية، والتى يمكن تتبع آثارها بالعودة إلى فترة «الصحوة العظمى». مع ذلك، شكلت هذه الإحيائية علامة على شىء من الانسحاب من التراث، وبخاصة منذ بدت الرسالة الخاصة بالصحة والرفاهية تُلَمِّحُ

(١) «داڤيد أيدوين هاريل الصغير» «أورال روبرتس، حياة أمريكية» (بلومنجتون، مطابع جامعة انديانا، ١٩٨٥م) ص ٤٨٥.

بأن المرء لا يحتاج إلى التخلى عن الدنيا من أجل اتباع المسيح، بل باتباع المسيح سوف يحصل على الدنيا والآخرة[1]. ويمكن الجدال الواضح بأن الإيڤانجليكية قامت بتقليم الأركان الحادة لرسالة الإنجيل بين عامى ١٩٦٠، و١٩٨٥م بما وازى التعديلات الرقيقة للإنجيل عن طريق البروتستانتية الليبرالية فى أواخر القرن التاسع عشر. ولا يزال العديد من الناس يجدون أنه من الصعب الجدال بنجاح عما هو الأهم فى الإيڤانجليكية؟ كانت الناس تتحول وتُحْضَر إلى الكنائس التى بقيت فيها معظم أساسيات الرسالة الإيڤانجليكية دون تغيير.

مع ذلك وفى نهايات الثمانينيات، استقضى النجاح ضريبته، حيث انهالت الفضائح أو على الأقل ما يثير الخجل على معظم قساوسة التليفزيون البارزين. ففى أوائل عام ١٩٨٧م، ادعى «أورال روبرتس» والذى عُرف طويلاً بأساليبه المختلف عليها فى جمع الأموال، بأن الله قد أخبره بأنه قد «يأخذه إلى بيته» ما لم يحقق داعمو «روبرتس» الهدف الحالى لحملة التمويل. وبينما كان فيلم الكارتون «دوونسبرى» يحقق أقصى نجاح باستغلال تكتيكات «روبرتس»، أصبح العديد من الإيڤانجليكيين الآخرين متورطين فيما يبدو أنه رسم هزلى ذاتى.

اتهم «چيم باكر» بتصرفات جنسية غير لائقة. وعندما حل «چيرى فالويل» محله بشكل مؤقت فى برنامج «PTL» اكتشف تصرفات مالية كبيرة، غير سليمة بالمثل، وأدين «باكر» بها بالفعل. وعندما انحسرت أولاً الفضائح الجنسية، كان أحد أكثر الأصوات علوّا فى انتقاد «باكر» آتيًا من فم خصمه الإيڤانجليكى «چيمى سواجارت». مع ذلك، وفى خلال العام نفسه، كان «سواجارت» قد أجبر عن طريق أحد خصومه على الاعتراف بتصرفاته الجنسية غير اللائقة، واضطر باختصار إلى التخلى عن منصبه قبل أن يعود بوجه جديد يطلب المغفرة.

فى هذه الأثناء، وعلى الجبهة السياسية **أعلن «پات روبرتسون» عن ترشيحه لتمثيل الحزب الجمهورى فى حملته عام ١٩٨٨م من أجل الرئاسة**، وعانى

---

(١) عبر عدد من الكتاب فى ملحق جريدة «المسيحية اليوم» الخاص بـ «على مشارف القرن التالى: التوجهات التى تواجه الكنيسة» ٣٠/ ١ (١٧ يناير ١٩٨٦م) ص ١-I إلى ٣٢-I، عن اهتمامهم بشأن هذه التوجهات.

روبرتسون فى وهج إنعام النظر الشعبى من بعض الأمور الصغيرة المثيرة للخجل بسبب بعض التضخيمات فى الحملة الانتخابية، كما تعرض للسخرية على ادّعائه بامتلاك قوى إعجازية قادرة على جلب الشفاء، وعلى ادعائه بأن صلواته أدت إلى تحويل إعصار عن اجتياح مسقط رأسه فى شاطئ ڤيرچينيا. وفى هذه الأثناء، أعلن «فالويل» عن انسحابه من السياسة وعن تحوله عن الأغلبية الأخلاقية، وبدلاً من أن يعطى دعمه إلى «روبرتسون» الكارزمى الذى حمل على عاتقه قائمة أعمال الأغلبية الأخلاقية، **فقد وجه الأصولى «فالويل» دعمه إلى «چورچ بوش»**.

كان هناك شىء واحد واضح من بين كل ذلك، وهو أن القليل هو الذى يجمع الإيڤانجليكية مع بعضها، وأن القليل هو الذى يسيطر على غرائبها. على المستوى التنظيمى، كانت تبدو كشىء يشابه النظام الإقطاعى للعصور الوسطى، فقد بنى القادة من الإيڤانجليكيين إمبراطوريات تدين لهم بالولاء، وكان على جميع هذه الإمبراطوريات أن تخدم نظريًا هدف المسيح نفسه، ولكنها تحولت فى الأغلب إلى غرماء متنافسين على أرض الواقع. كما أصبح واضحًا من خلال فضائح الثمانينيات، تراخى وضعف قبضة الطوائف على هؤلاء الإيڤانجليكيين التى حدث أنهم يتبعونها، حيث يلجأ الإيڤانجليكيون ببساطة إلى الاستقالة بمجرد تهديدهم من قبل سلطات الكنيسة.

أحد المظاهر المثيرة للاستغراب فى الإيڤانجليكية هو تجاهلها الشامل للكنيسة التقليدية. ففيما عدا المستوى الأبرشى (الجمعى)، لا تلعب الكنيسة التقليدية إلا دورًا ضئيلاً نسبيًا داخل الحركة. وفى حين أن للأبرشية المحلية دورًا عظيم الأهمية لأغراض العضوية، فغالبًا ما ينظر إلى ذلك بما يتلاءم مع راحة الفرد. يتمتع الأفراد بالسيادة المطلقة ويمكنهم الانضمام إلى الكنائس أو تركها حسب ما يفضلون، وغالبًا ما يبدو أنهم يفضلون اختيار كنيسة، لأنها «ودودة»، كما يفضلونها بسبب تعاليمها الخاصة. وعلى الرغم من أن الولاءات الطائفية ما زالت تحظى بالأهمية بالنسبة لأعداد ملموسة من الإيڤانجليكيين، لكنها لا تمثل إلا صدفة بالنسبة للكثير من الآخرين، وبخاصة هؤلاء ذوى الوعى العابر للطائفية الذين حاولوا من قبل أن يجلبوا الوحدة إلى الحركة. بالنظر إلى هذا الوضع، فمن المثير للانتباه أن تحظى

الإيڤانجليكية الأمريكية بهذه الدرجة من التماسك، ويبدو أن القليل هو الذى يربطها مع بعضها باستثناء التراث المشترك، ويقع فى المركز من هذا التراث، تراث الإنكار لسلطة التراث. مع ذلك، يمكن للمرء أن يرى جليًا كنيستين إيڤانجليكيتين غير مرتبطتين وتقعان فى أقصى الشرق وأقصى الغرب من أمريكا، وسوف يجد - وبنفس القدر لا يجد - إلى حد بعيد تعاليم شبه متطابقة فيما يتعلق بمعظم الموضوعات. وفى الأغلب فإن مبادئ السوق الجماهيرى التى تؤكد على القياسية وعلى الحملات القومية (الكبيرة) هى القوى الرئيسية التى تساعد على الحفاظ على هذا التجانس الإيڤانجليكى الملحوظ.

ومن الصعب أن نقول بما إذا كانت هذه القوى الجاذبة للمركز من أجل التماسك، أو بعض القوى الطاردة المركزية المساوية والمضادة هى التى سوف تسود، وربما ما كان يحدث على مدار العقدين السابقين هو أن القلب التقليدى العابر للطائفية قد أصبح خاضعًا لفرق عدة (الكارزميين، والسياسيين القوميين المحافظين، والإيڤانجليكيين التقدميين)، وأن هذه الفرق سرعان ما ستصبح واضحة المعالم بنفس ما كان حادثًا فى منتصف القرن العشرين لورثة الأصوليين والحداثيين من إيڤانجليكية القرن التاسع عشر. لا يمكن للمرء أن يتنبأ على وجه القطع. لذلك، وبالنظر إلى مفهوم الإيڤانجليكية النموذجى وغير الرسمى عن الكنيسة، فمن الصعب أن نرى كيف يمكن لأى مجموعة منفردة أن تحصل على السيطرة وأن تمسك بزمام الحركة الأكبر معًا فى آن واحد. ربما سيستمر التطور على شكل تجليات متوازية من التعاطف من جانب جماعات التراث المشترك.

إحدى التبعات الرئيسية الأخرى الناتجة عن عدم تأسيس كنسية تقليدية، وعن الانحدار فى دور الطوائف التقليدية، هى أن الإبقاء على تحدى الإيڤانجليكية الجسور للثقافة العلمانية أصبح متزايد الصعوبة. تعتمد الحركة على مشروع المؤسسات الحرة وعلى الجاذبية الشعبية، وقد نمت الكنائس المحافظة إلى حد ما بسبب أنها وعدت باليقين فى أوقات عدم اليقين باسم إنجيل الزمن القديم. لذلك ومع بعض القيود التقليدية حول أي رسالة تزعم الشرعية، فإن قوانين السوق

تستدعى خليطًا من الإنجيل مع مختلف الإغراءات الشعبية[1]. لذلك فمن المرجح أن تحديات الإيڤانجليكية للـ «العقل الحديث» العلمانى، ستأتى باختراع تبسيط مغالى فيه، وتنازل للروح الشعبية للعصر كحل وسط. وبذلك ـ مثلما هو الحال غالبًا فى تاريخ الكنيسة ـ فلا ينفصل تقدم الإنجيل عن التقدم فى العلمانية داخل الكنيسة، وربما لا يمكن تجنب مثل هذا الترابط فى عالم متهافت؛ فالنبات الضار سوف ينمو مع القمح.

***

(١) «ناثان أو. هاتش» «الإيڤانجليكية كحركة ديمقراطية» فى مارسدن، محرر «الإيڤانجليكية وأمريكا الحديثة» ص٧١-٨٢، يناقش هذه القوى المحركة الخاصة بالحركة.

obeikandl.com